

خزانة الأدب وغاية الأرب

رسالة القوس وهو صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم .

ومن ذلك ما أورده الشيخ جمال الدين بن نباتة من الاقتباسات البديعية في رسالة السيف والقلم فرقى الأنامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه في خلعة سواده والتفت إلى السيف فقال (بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون) الحمد الذي علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ما قدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد القائل جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوي المجد البين وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور فاتحة أدراج الصدور ما نقلت عن صحائف البحار غواذيتها وكتبت أقلام النور على مهارق الرياض حكمه باريها .

أما بعد فإن القلم منار الدين والدنيا وقصة سباق ذوي الدرجة العليا ومفتاح باب اليمن المجرب إذا أعى وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام أموره السائر وقادمة أجنحته الطائرة وأنملة الهدى المشيرة إلى ذخائر الدنيا والآخره به رقم كتاب الذي لا يأتيه الباطل وسنة نبیه التي تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة وحسبه ما جرى على يده الشريفة من منه إن نظمت فرائد العلوم فالقلم سلكها وإن علت أسرة الكتب فإنما هو ملكها هذا وهو الجاري بما أمر الله به من العدل والإحسان والمسود الناظر فكأنما هو لعين الرأي إنسان طالما قاتل على البعد والصوارم في القرب وأوتي من المعجزات نوعا من النصر والرعب لا يعاديه إلا من سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وقل الجدال من غربه وكيف يعادى من إذا كرع من نفسه فقل (إنا أعطيناك الكوثر) وإذا ذكر شأنه فقل (إن شأنك هو الأبر) فعند ذلك نهض السيف عجا وتلمظ لسانه للقول مرتجلا وقال (بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز)